

420283 - لماذا اختلف ترتيب الأحداث في قصة لوط عليه السلام؟

السؤال

يتكرر جزء من قصة لوط عليه السلام في سورة هود/ 81-77، وسورة الحجر/ 61-71، قال أحدهم: أن هذا تناقض، لأن الطريقة التي تحدث بها الأشياء تنقلب، على سبيل المثال، يقول: إنه عندما أمر الملائكة لوط عليه السلام بالmigration ليلاً، في سورة الحجر ، أمروه بفعل ذلك قبل وصول قوم لوط، بينما في سورة هود أمروه بالmigration ليلاً بعد وصول الناس، أرجو دحض هذه الحجة الشبهة، وشرح سبب اختلاف الروايات عند تكرارها في القرآن من حيث ترتيب حدوث الأشياء أو اختلاف طريقة سردتها؟

الإجابة المفصلة

أولاً:

تكرار القصة في القرآن من سمات القرآن الكريم؛ لأن "إبراز الكلام الواحد في فنون كثيرة وأساليب مختلفة لا يخفى ما فيه من الفصاحة"، كما يقول "الزركشي".

"البرهان في علوم القرآن" (3/26).

وقد ذكرنا طرفاً من ذلك، في الأجوية: (140060)، (82856).

ثانياً:

قال الله تعالى: (وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلًا لُّوطًا سِيِّئَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ دُرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ * وَجَاءَهُ قَوْمٌ يُهَرَّعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلِ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَظَهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْرُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ * قَالُوا لَقَدْ عِلِّمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ * قَالَ لَوْ أَنِّي لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ * قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَنْسِرْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يُلْتَفِثْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهُمْ مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ) هود/77-81.

وقال: (فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطِ الْمُرْسَلُونَ * قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * قَالُوا بَلْ جِنَّاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ * وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ * فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَأَتْبِعْ أَذْبَارَهُمْ وَلَا يُلْتَفِثْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حِينَ ثُؤْمَرُونَ * وَقَصَّيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنْ دَاهِرَ هَؤُلَاءِ مَفْطُوحٌ مُضْبِحٌ * وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ * قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ * وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْرُونِ * قَالُوا أَوْلَمْ نَهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ * قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ قَاعِلِينَ * لَعْمَرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرِتِهِمْ يَعْمَهُونَ * فَأَخَذَتُهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ * فَجَعَلْنَا عَالِيَّهَا سَافَلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِيلٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ * وَإِنَّهَا لَسَيِيلٌ مُقِيمٌ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ) الحجر/ 61-77.

استشكل السائل ترتيب أحداث القصة بين السورتين الكريمتين، ففي سورة (الحجر) أخبروه أنهم رسول الله قبل أن يأتي قومه، وفي سورة (هود) أخبروه بعد ذلك؟

والجواب:

"لا شك أن سياق سورة هود هو سياق قصة لوط ، كما يدل عليه غيره من الآيات، ويidel عليه أيضًا قوله في الحجر: (إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضُحُونِ * وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُنُونِ * قَالُوا أَوَلَمْ نَهَكُ عَنِ الْعَالَمِينَ * قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ).

فلو كان يعلم أنهم ملائكة، لما قال هذا الكلام لقومه.

وليس في الحجر ما يدل على خلاف هذا، وكون الآيات قدمت كلام الملائكة مع أنه متاخر حدوثاً، فهذا لا يضر لحكمة معينة، والواو لا تقتضي الترتيب" ، انتهى من "دعوى الطاعنين في القرآن الكريم" (363).

قال الإمام ابن كثير: "ي الخبر تعالى عن مجيء قوم لوط لما علموا بأضيافه وصباحة وجههم، وأنهم جاءوا مستبشرین بهم فرحين، **{قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزنون}**".

وهذا إنما قاله لهم، قبل أن يعلم بأنهم رسول الله، كما قال في سياق سورة هود.

وأما هنا فتقدم ذكر أنهم رسول الله، وعطف بذكر مجيء قومه ومحاجته لهم؛ ولكن الواو لا تقتضي الترتيب، ولا سيما إذا دل دليل على خلافه" ، انتهى من "تفسير ابن كثير" (4/542).

وقال ابن عاشور: "عطف جزء من قصة قوم لوط، وهو الجزء الأهم فيها".

ومجيء أهل المدينة إليه ومحاورته معهم: كان قبل أن يعلم أنهم ملائكة، ولو علم ذلك لما أشدق مما عزم عليه أهل المدينة، لما علم بما عزموا عليه بعد مجادلتهم معه، كما جاء في قوله تعالى: (قالوا يا لوط إننا رسول ربكم لن يصلوا إليك في [سورة هود : 81]).

والواو لا تفيد ترتيب معطوفها" ، انتهى من "التحرير والتنوير" (66/14).

ونقل أبو حفص النسفي عن "الماتريدي" قوله: "هذه القصة وما قبلها من القصص في هذه السورة وغيرها، وورودها بألفاظ مختلفة في آيات دليل على أن العبرة لاتفاق المعاني، فإن هذه المخاطبات لم تكن مرارا، بل مرة، ومع ذلك وردت على وجوه، فدل أن اختلاف الألفاظ وتغيرها، لا يوجب اختلاف الحكم، بعد أن لا يغير المعنى، وذلك أن الخبر إذا أدى معناه على اختلاف لفظه، فإنه يجوز" انتهى من "التسهيل في التفسير" (209/9).

على أن الإمام "ابن عطية" ذكر في الآية احتمالاً آخر؛ أن تكون تلك المحاورة من لوط عليه السلام لقومه، بعد علمه بالملائكة، استدراجاً لهم، وتهكمًا بحالهم، مع ما يكون من مآلهم. قال:

"يَحْتَمِلُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى وَصْفِ أَمْرِ جَرِيٍّ، قَبْلَ إِعْلَامِ لَوْطٍ بِهَلاْكِ أَمْتَهِ، وَيَدْلِي عَلَى هَذَا أَنْ مَحَاجَةً لَوْطٍ لِقَوْمِهِ فِي الْأَضْيَافِ، تَقْتَضِي ضَعْفَهُ، مِنْ لَمْ يَعْلَمْ إِهْلَكَهُمْ، وَأَنَّ الْأَضْيَافَ مَلَائِكَةٌ".

ويَحْتَمِلُ قَوْلَهُ: (وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ) أَنْ يَكُونَ بَعْدَ عِلْمِهِ بِهَلاْكِهِمْ، وَكَانَ قَوْلُهُ مَا يَأْتِي مِنَ الْمُحَاوِرَةِ عَلَى جَهَةِ التَّكْتُمِ عَنْهُمْ، وَالْإِمْلَاءِ لَهُمْ، وَالْتَّرِيْصِ بِهِمْ". "تَفْسِيرُ ابْنِ عَطِيَّةِ" (5/736) طَ قَطْرٌ.

وَاللَّهُ أَعْلَمُ.